
Looloo
www.dvd4arab.com
ابراهيم ناجى
اجمل ما كتب شاعر الاطلال

مقدمة

هذه مختارات من شعر الدكتور ابراهيم ناجى الذى ارتبط اسمه فى أذهان جيل كامل بقصيدة «الأطلال» التى تغنيها أم كلثوم وبمقطوعة أسماها محمد عبد الوهاب «القيثارة»، وهى أبيات تخيرّها بنفسه من قصيدة «الخريف» المنشورة هنا. وقد يدهش القارىء إذا وجد الأبيات التى تغنيها أم كلثوم فى الأطلال «هل رأى الحب سكارى مثلنا...» فى قصيدة «الوداع» لا فى الأطلال! والواقع أن ديوان ناجى كله يتميز بوحدة فى الروح او مايسمى... فى لغة النقد الحديث... بالنغمة، بحيث تستطيع أن تنتقل بيسر وسهولة من قصيدة إلى قصيدة، وأن تحس ارتباطاً باطناً بين الصور والأفكار التى تمثل خير تمثيل ما يطلق عليه الدكتور عبد القادر القط «الاتجاه الوجدانى» فى الشعر الحديث. وشعر ناجى حديث، على رومانسيته المفرطة، لأنه يثور على التقاليد الكلاسيكية فى الشعر، فهو يستخدم أشكالاً جديدة فى النظم، ويستمسك بلغة معاصرة طيّعة عذبة تخاطب أبناء هذا الزمان، ويستمد مادته من تجارب مألوفة فى حياة كل إنسان.

أما رومانسيته فتتجلى بأبدع صورها فى إيمانه «بالاحساس»، وهو المثل الأعلى للرومانسية، وشغفه بالطبيعة، وخصوصاً «فكرة» «الرحلة» وصور البحر ومعانى الزمن، وقبل هذا وبعده إصراره على

«التجربة» الشخصية الفردية التى تعينه على تحقيق مثل رومانسى أعلى آخر وهو «الصدق».

وتمثل هذه المختارات شتى اتجاهات تعبير ناجى عن موضوعاته الأثيرة، والأشكال الشعرية الجديدة التى أبدعها، فهو يشترك فى ذلك مع زملائه من أصحاب مدرسة أبوللو، وإن كان يختلف عنهم فى الدور الفريد الذى يوليه للشعور، مما يجعله يلتقى مع مدرسة الديوان فى أساس مهم من أسس نظريتهم الشعرية، وهو العودة بمعنى الشاعر إلى الأصل الاشتقاقى للكلمة، وتخليصه من دوره التقليدى فى حياة القبيلة او المجتمع. ونحن نرى أن أقوى دليل على انتمائه لهذه النظرية هو اتهام العقاد له بسرقة «معانٍ» منه هو شخصياً، فبعد أن وصفه بشاعر «الرقة العاطفية» ونسبه إلى مدرسة الشعراء الظرفاء «ابن الأحنف وابن سهل والبهاء زهير..الخ» على مافى ذلك من ظلم، نراه يتهمه بسرقة معانٍ منه، بمعنى تأثره به، مما يتضمن إقراراً مضمراً بمشاركته إياه فى مفهوم الشعر.

أما هجوم طه حسين عليه أولاً ثم امتدحه إياه فقصة مشهورة، وهى تشهد على أهمية الحركة النقدية المصاحبة للحركة الأدبية فى تلك الفترة الخصبة، ويهمنا أن نورد أهم ما نذكره من مقال طه حسين عنه الذى يقول فيه إنه «موفق» فى المعانى والألفاظ و «فيما اتخذ من الأساليب معانيه جديدة تصل أحياناً الى حد الروعة»، ونذكر أنه قال عبارته المشهورة عن ناجى «شاعر مجيد تألفه النفس

ويصبو إليه القلب، ويأنس إليه قارئه أحياناً، ويطرب له سامعه دائماً».

والخصيصة الأخيرة هى التى أهملها جُلُّ من كتب عن ناجى، ألا وهى جمال الجرس اللفظى النابع من استواء العبارة وبعدها عن العوج والالتواء، والذى يمكن أن نرده أيضاً إلى أذن مرهفة تحسن اختيار النغم الصوتى للألفاظ، وهو لا يستريح لبحر واحد مهما بلغ من حبه إياه (مثل رَمَل الأطلال) ولكنه يعمد إلى التجريب الذى يصل أحيانا إلى صدقه القارىء الذى اعتاد البحور التقليدية فحسب. وقد راعينا أن تضم هذه المجموعة ألواناً شتى من هذه الانغام، فبدأناها بقصيدة مصر (التى تنشدها أم كلثوم) وهى من الطويل، ونحس فيها كم كان ناجي ينظر الى شوقى كمثال يحتذى، وحسبك أنه كتب ثلاث قصائد فى رثائه، ولا ندرى لماذا يذكرنا البيت التالى بشوقى فى عظمته وشموخه

شباب إذا نامت عيون فإننا
بكرنا بكور الطير نستقبل الفجرا

***

ولد ابراهيم ناجى فى آخر يوم من أيام عام ١٨٩٨ ولذلك غالبا مايقال إنه من مواليد عام ١٨٩٩، وقد شب فى منزل يشجع القراءة، وكان يجمع هذا المنزل، شأن منازل مثقفى ذلك الزمان، بين كتب التراث العربى والأدب الانجليزى (والفرنسى إلى حد ما)

ومن ثم فكان المتوقع أن يتجه الصبى بعد الابتدائية (١٩١١) إلى الدراسة الأدبية، وهذا ماحدث وهو فى المدرسة التوفيقية (الثانوية) غير أنه اتجه فى آخر لحظة إلى دراسة الطب، وليس الطب بعيد الصلة بالأدب والأدباء! ولم يتوقف فى أثناء سنىّ دراسته عن القراءة والكتابة، وبدأ ينشر بعض القصائد التى تدل على موهبة صادقة مبكرة، وسرعان ما تمكن من الجمع بين ممارسة الطب وكتابة الشعر، وكان مثله الأعلى هو شوقى (وإن كان البعض يضيفون خليل مطران والشريف الرضى) أما هو فهو يقول إنه أحب شيكسبير والمتنبى، ولا شك عندنا أن جذور شوقى راسخة فى كل منهما.

وكان ناجى من الأعضاء المؤسسين لجماعة أبوللو، برئاسة شوقى، وكان يتميز كما سبق أن ذكرنا باتجاهه الوجدانى الغلاّب الذى تأكد عندما أصدر أول ديوان له عام ١٩٣٤، وكان الذى كتب مقدمته هو أحمد الصاوى محمد الذى رحب بانضمامه إلى ركب الشعراء المحدثين. وتلت هذا الديوان المعارك النقدية التى ألمحنا إلى بعضها، فتخطاها الشاعر بصعوبة، ومن أعجب ما يصادفنا فى تلك الفترة أن انبرى شاعر الشام الأستاذ شفيق جبرى ليدافع عن عنوان الديوان «وراء الغمام» مما زاد من اهتمام القراء على امتداد الوطن العربى بهذا الصوت الشعرى الفريد الجديد.

وبُعيد نشوب الحرب العالمية الثانية نشر ناجى ديوانه الثانى

«ليالى القاهرة» الذى وطد صيته كشاعر مبدع، ولو انه تضمن قصائد ومقطوعات من شعر المدح والرثاء وحفلات التكريم - مما أكد اتهام طه حسين له بأن شعره «شعر صالونات» - ولقد شئنا أن نحذف من المختارات الحالية معظم هذه القصائد والمقطوعات لأنها لا تمثل عبقرية ناجى خير تمثيل، فناجى كان إلى جانب كتابة الشعر شخصية اجتماعية مرموقة، وكان كثيراً ما تنشر له القصائد التى يطلق عليها اسم «الإخوانيات» أو أشعار المناسبات، فلا تفيد مكانته الشعرية بل تكسبه سمعة الهازل اللاهى، وهى سمعة غير مستحبة وفقاً لتقاليد العربية فى الشاعر «الجاد». وبعد وفاته عام ١٩٥٣ جمعت أشعاره المتفرقة ونشرت فى ديوان بعنوان «الطائر الجريح» وأطرى عليها محمد عبد الغنى حسن كل الإطراء.

الهدف من هذه المجموعة إذن هو تقديم صورة الشاعر إبراهيم ناجى، لا صورة الشخصية الأدبية التى عاشت وارتبطت فى أذهان معاصريه بفترة حافلة فى تاريخنا، والواقع أننا كنا ونحن صغار تختلط علينا صورة الأديب الفكة بالشاعر الفحل، وكلنا يذكر ما لا تَضُمُّه دواوينه من قفشات شعرية عن الدكتور محجوب ثابت، وعن محاكاته الساخرة لبيت المُنَخَّل اليشكرى:

أحببتــه وأحبنــى   وأحب ناقته بعيرى

حين ذكر ناجى أن حسناء زارته فى «العيادة» مع «جارية» لها، فرحب بهما «بشير» الممرض (التمورجى) ويبدو أنه أظهر إعجاباً بها

فقال ناجى :

الحـب طوّف بالعيادة فاتناً حلو العبير

أحببته وأحبنى وأحب «جَرِيَتَهُ» بشيرى!

مثل هذه المُلَحِ هى التى أضَرَّتْ بصيته باعتباره شاعراً جاداً، ولكنه، مثل كل «ابن بلد» ظريف، لم يكن يستطيع مقاومة الفكاهة حين تعنُّ له.

وبعد فنرجو أن يجد القارىء فى هذه المختارات مايحسم القضية.

سمير سرحان

ومحمد عنانى

١ - مصر

أجلْ إن ذا يوم لمن يفتدى مصرا

فمصر هى المحرابُ والجنةُ الكبرى

حلفنا نولى وجهنا شطر حبِّها

وننفذُ فيه الصبرَ والجهدَ والعمرا

نبثُّ بها روحَ الحياةِ قويةً

ونقتل فيها الضنكَ والذل والفقرا

نحطم أغلالاً ونمحو حوائلا

ونخلق فيها الفكرَ والعمل الحرا

أجل إن ماءَ النيلِ قد مرَّ طعمُهُ

تناوشه الفتاكُ لم يدعو شبرا

فدالت به الدنيا وريعت حمائم

مغردةٌ تستقبل الخيرَ والبشرى

وحامت على الأفق الحزين كواسرٌ

إذا ظفرت لا ترحم الحسنَ والزهرا

تحط كما حط العقابُ من الذرى

وتلتهم الأفنانَ والزغبَ والوكرا

فهلا وقفتم دونها تمنحونها

أكفاً كماء المزنِ تمطرها خيرا

سلاماً شباب النيل فى كل موقف

على الدهر يجنى المجدَ أو يجلبُ الفخرا

تعالوا نشيّدْ مصنعاً رب مصنعٍ
يدر على صُناعنا المغنمَ الوفرا
تعالوا نشيّدْ ملجأ، رب ملجأ
يضم حطامَ البؤسِ والأوجهَ الصفرا
تعالوا لنمحو الجهلَ والعللَ التى
أحاطتْ بنا كالسيل تغمرنُا غمرا
تعالوا فقد حانتْ أمورٌ عظيمةٌ
فلا كان منا غافلٌ يصم العصرا
تعالوا نقلْ للصعب أهلا فإننا
شبابٌ ألفنا الصعبَ والمطلبَ الوعرا
شبابٌ اذا نامت عيونٌ فإننا
بكرنا بكورَ الطيرِ نستقبل الفجرا
شبابٌ نزلنا حومةَ المجدِ كلنا
ومن يغتدى للنصر ينتزعُ النصرا

٢ - الأطلال

يافؤادى رحم اللهُ الهوى
كان صرحاً من خيال فهوى
اسقنى واشربْ على أطلالهِ
وارو عنى طالما الدمع روى
كيف ذاك الحب أمسى خبراً
وحديثاً من أحاديث الجوى
وبساطا من ندامى حلم
هم تواروا أبداً وهو انطوى.

* * *

يا رياحا ليس يهدا عصفها
نضب الزيتُ ومصباحى انطفا
وأنا أقتات من وهم عفا
وأفى العمر لناسٍ ما وفى
كم تقلبت على خنجره
لا الهوى مال ولا الجفنُ غفا

وإذا القلبُ على غفرانهِ
كلما غاريه النصلُ عفا
يا غراما كان منى فى دمى
قدراً كالموت أوفى طعمه
ما قضينا ساعة فى عرسهِ
وقضينا العمر فى مأتمه

ما انتزاعى دمعةً من عينِه   واغتصابى بسمةً من فمِهِ
ليت شعرى اين منه مهربى   اين يمضى هاربٌ من دمِهِ

* * *

لست أنساكِ وقد اغريتنى
بفمٍ عذبِ المناداة رقيقْ
ويد تمتد نحوى كيدٍ
من خلال الموجِ مُدَّتْ لغريقْ
آه يا قبلة اقدامى إذا
شكت الأقدامُ أشواكَ الطريقْ
وبريقاً يظمأ السارى لهُ
اين فى عينيك ذيَّاك البريقْ
لست أنساك وقد اغريتنى
بالذرى الشم فأدمنتُ الطموحْ
انت روح فى سمائى وانا
لك أعلو فكأنى محضُ روحْ
يا لها من قمم كنَّا بها   نتلاقى وبسرِّينا نبوحْ
نستشف الغيبَ من ابراجها
ونرى الناسَ ظلالاً فى السفوحْ

* * *

انتِ حسن فى ضحاه لم يزَلْ
وانا عندىَ أحزان الطَّفَل

وبقايا الظل من ركب رحلْ
وخيوطُ النور من نجمٍ افلْ
ألمح الدنيا بعينى سئمْ
وأرى حَولىَ أشباحَ الملَلْ
راقصات فوق أشلاء الهوى
معولاتٍ فوق أجداثِ الأملْ
ذهب العمرُ هباءً فاذهبى
لم يكن وعدُك إلا شبحا
صفحةٌ قد ذهب الدهرُ بها
اثبت الحب عليها ومحا
انظرى ضحكى واقصى فرحا
وانا احمل قلباً ذُبِحَا
ويرانى الناسُ روحاً طائراً
والجوى يطحننى طحن الرحى؟

* * *

كنت تمثال خيالى فهوى
المقادير أرادتْ لا يدِى
ويحها لم تدرِ ماذا حطمتْ
حطمت تاجى وهدّت معبدى
يا حياة اليائس المنفرد
يا يباباً ما به من أحدِ

يا قفاراً لافحاتٍ ما بها
من نجى.. يا سكون الأبدِ...

* * *

اين من عينى حبيبٌ ساحرٌ
فيه نبلٌ وجلالٌ وحياءْ
واثقُ الخطوةِ يمشى ملكا
ظالمُ الحسن شهىُّ الكبرياءْ
عبقُ السحرِ كأنفاسِ الربى
ساهمُ الطرف كأحلام المساءْ
مشرقُ الطلعةِ فى منطقه
لغةُ النورِ وتعبيرُ السماءْ

* * *

اين منى مجلسٌ انت به
فتنةٌ تمت سناء وسنى
وانا حبٌ وقلبٌ ودمٌ
وفراشٌ حائرٌ منك دنا
ومن الشوقِ رسولٌ بيننا
ونديمٌ قدّم الكأسَ لنا..
وسقانا. فانتفضنا لحظةً
لغبارٍ آدمى مسنا!
قد عرفنا صولةَ الجسمِ التى
تحكم الحىَّ وتطغى فى دماه

وسمعنا صرخةً فى رعدِها
سوطِ جلّادٍ وتعذيب إله
امرتْنا فعصينا امرها
وابيْنا الذلَّ ان يغشى الجباه
حكم الطاغى فكنا فى العصاهْ
وطردنا خلفَ اسوارِ الحياهْ

* * *

يا لمنفيين ضلاً فى الوعورْ
دميا بالشوك فيها والصخورْ..
كلما تقسو الليالى عرفا
روعةَ الآلامِ فى المنفى الطهورْ..
طردا من ذلك الحلمِ الكَبيرْ
للحظوظ السود والليل الضريرْ
يقبسان النورَ من روحيْهما
كلما قد ضنتِ الدنيا بنورْ

* * *

انت قد صيرت امرى عجبا
كثرتْ حولى اطيارُ الربى
فاذا قلت لقلبى ساعةً
قم نغردْ لسوى ليلى ابى
حجبتْ تابى لعينى ماربا
غير عينيك ولا مطلبا

أنتِ من أسـدلهـا لا تدعى

اننى أسـدلت هذى الحُجُبـا

ولكم صاح بى اليأسُ انتزعهـا

فيرد القدرُ الساخرُ: دعهـا

يا لهـا من خطة عميـاء لو

اننى ابصر شيئاً لم اطعها

ولىَ الويل إذا لبيـتُهـا

ولى الويلُ إذا لم اتبعـهـا

قد حنت رأسى ولو كل القوى

تشترى عزة نفسى لم ابعـهـا

* * *

يا حبيبـاً زرتُ يومـاً أيكهُ

طائر الشـوق اغنىْ ألمى

لك ابطاءُ الدلالِ المنعـمِ

وتجنىْ القـادرِ المحتكم

حنينى لك يكوىْ اعظمى

والثوانى جمـرات فى دمى

وأنا مـرتقبٌ فى موضعى

مرهفُ السمعِ لوقعِ القـدم

* * *

... حطو وقلبى مشـبـه

موجـة تخطو إلى شـاطئـهـا

أيهـا الظالم بالله إلى كم

أسفح الدمعَ على موطنـهـا

رحمـةً أنت فهل من رحمـةٍ

لغريب الروحِ أو ظامئـهـا

يا شفاء الروح روحى تشتكى

ظلمَ آسيـهـا إلى بارئهـا...

* * *

أعطنى حـريتى أطلقْ يدىَ

اننى أعطيتُ مـا استبقيتُ شيَ

آه من قيدك أدمى معصمى

لمَ أبقيـهِ ومـا أبقى علىَ

مـا احتفاظى بعهود لم تصنْها

وإلامَ الأسـر والدنيـا لدىَ

هـا أنا جفتْ دموعى فاعفُ عنها

انهـا قبلكَ لم تبـذلْ لحىْ

* * *

وهبِ الطائر عن عشك طارا

جفتِ الغدرانُ والثلجُ أغارا

هذه الدنيـا قلوب جَمَدتْ

خبتِ الشعلةُ والجمـرُ توارى

وإذا مـا قبس القلبِ غدا

من رماد لا تسلهُ كيف صارا

لا تسلْ واذكرْ عذابَ المصطلىْ
وهو يذكيهِ فلا يقبسُ نارا

* * *

لا رعى اللهُ مساءً قاسيا
قد ارانىْ كلُّ احلامى سدى

وارانى قلبَ من اعبدُهُ ساخراً من مدمعى سخر العدا
ليت شعرى اى احداث جر . ت انزلت روحك سجناً موصدا
صدئت روحك فى غيهبها وكذا الارواح يعلوها الصدا

* * *

قد رايتُ الكونَ قبراً ضيقا
خيَّم اليأسُ عليهِ والسكوتْ
ورأت عينى اكاذيبَ الهوى
واهياتٍ كخيوطِ العنكبوتْ
كنت ترثى لى وتدرى المنى
لو رثى للدمع تمثال صموتْ
عند اقدامك دنيا تنتهى
وعلى بابك امالٌ تموتْ

* * *

كنت تدعونى طفلاً كلما
ثار حبى وتندتْ مقلى

ولك الحق لقد عاش الهوى
فىَّ طفلاً ونما لم يعقلِ
ورأى الطعنة إذ صوبتها
فمشت مجنونة للمقتل
رمت الطفلَ فادمتْ قلبهُ
واصابتْ كبرياءَ الرجلِ
قلت للنفس وقد جزْنا الوصيدا
عجلى لا ينفعُ الحزمُ وئيدا
ودعى الهيكلَ شبتْ نارُهُ
تأكلُ الركَّعَ فيهِ والسجودا
يتمنَّى لى وفائى عودةً
والهوى المجروحُ يأبى ان نعودا
لى نحو اللهب الذاكى به
لَفتة العود إذا صار وقودا

* * *

لستُ انسى ابداً ساعة فى العمرِ
تحت ريحٍ صفقتْ لارتقاصِ المطرِ
نوَّحتْ للذكرِ وشكتْ للقمرِ
وإذا ما طربتْ عربدتْ فى الشجرِ
هاك ما قد صبت الريـ ـح بانن الشاعر
وهى تغرى القلب اغرا . النصيح الفاجر

أيها الشاعر تغفو
تذكرُ العهدَ وتصحو
وإذا ما التأم جرحٌ
جد بالتذكار جرحٌ

فتعلمْ كيف تنسى وتعلمْ كيف تمحو
أو كل الحب فى رأ يكَ غفرانٌ وصفحٌ

* * *

هاك فانظرْ عددَ الرمـ لِ قلوبا ونساءْ
فتخيرْ ما تشاءْ ذهب العمرُ هباءْ
ضل فى الأرض الذى ينشد أبناء السماءْ
أى روحانية تعـ ـصر من طين وماءْ..

* * *

أيها الريح أجلْ لكنما
هى حبى وتعلاتى ويأسى
هى فى الغيبِ لقلبى خلقتْ
أشرقتْ لى قبل أن تشرقَ شمسِ
وعلى موعدها أطبقتُ عينى
وعلى تذكارها وسدتُ رأسى

* * *

جنَّتِ الريحُ ونادتـ ـه شياطين الظلام..
أختاماً كيف يحلو لك فى البدء الختام

يا جريحاً أسلمَ الجر حَ حبيباً نكأهْ
هو لا يبكى إذا النـ ـاعى بهذا نبأهْ
أيها الجبار هل تصـ ـرع من أجل امرأةْ..

* * *

يا لها من صيحةٍ ما بعثت
عنده غير أليمِ الذكرِ
أرقت فى جنبه فاستيقظت
كبقايا خنجر منكسرِ
لمع النهرُ وناداه له
فمضى منحدراً للنهرِ
ناضبُ الزادِ وما من سفرِ
دون زادٍ غير هذا السفرِ

* * *

ياحبيبى كل شىء بقضاءْ
ما بأيدينا خُلِقْنا تعساءْ
ربما تجمعُنا أقدارُنا
ذات يومٍ بعدما عزَّ اللقاءْ
فإذا أنكر خلٌّ خلَّهُ
وتلاقينا لقاءَ الغرباءْ
ومضى كلٌّ إلى غايته
لا تقلْ شيئنا! وقل لى الحظ شاءْ

* * *

يا مغنى الخلد ضيعت العمرْ
فى اناشيد تغنّى للبشرْ
ليس فى الأحياءِ من يسمعنا
مالنا لسنا نغنى للحجرْ
للجمارات التى ليستْ تعى
والرميمات البوالى فى الحفرْ
غنّها سوف تراها انتفضتْ
ترحم الشادىْ وتبكى للوتر

* * *

يا نداء كلما أرسلتهُ
رد مقهوراً وبالحظُ ارتطم
وهتافاً من اغاريد المنى
عاد لى وهو نواحٌ وندمْ
رب تمثالِ جمالٍ وسنا
لا ح لى والعيش شجو وظلمْ
ارتمى اللحنُ عليهِ جاثياً
ليس يدرىْ انه حسنٌ اصمْ

* * *

هدأ الليلُ ولا قلب له
ايها الساهر يدرى حيرتكْ
ايها الشاعر خذ قيثارتكَ
غنِّ اشجانك واسكبْ دمعتَكْ

رب لحنٍ رقص النجمُ له
وغزا السحب وبالنجم فتكْ
غنّهِ حتى نرى سترَ الدجى
طلع الفجرُ عليه فانهتكْ

* * *

وإذا ما زهرات ذعرت
ورأيت الرعبَ يغشى قلبها
فترفقْ واتئدْ واعزفْ لها
من رقيق اللحنِ وامسحْ رعبَها
ربما نامتْ على مهد الأسى
وبكتْ مستصرخاتٍ ربها
ايها الشاعر كم من زهرةٍ
عوقبتْ لم تدر يوماً ذنبها

* * *



٣ - يأس على كأس

هات اسقنى واشربْ على سر الأسى
وعلى بقـايا مـهـجـة وشـجـاهـا

مـهـلا نديمى! كيف ينسى حبـهـا
من ينشـد السلوى على ذكـراهـا

مـا زلت تسقينى لتنسينى الهوى
حتى نسيتُ، فـمـا ذكرت سـواهـا

كـانت لنا كـأسٌ وكـانت قـصـةٌ
هذا الحـبـاب أعـادها ورواها

الآن غـشـاها الضـبـابُ وها أنا
خلفَ المـآسى والدمـوعِ أراها

غـال الزمـانُ ضـبـابَهـا وحـبـابها
وتبـخـرتْ أحـلامُـهـا ورؤاها

لا تبكهـا ذهبتْ ومـات هواها
فى القلب مـتـسعٌ غـدا لسواها

أحـببتُها وطويتُ صـفحتـها وكم
قـرأ اللبـيبُ صـحـيـفـةً وطواها

تلك الوليـدة لم تطل بشـراهـا
لمّا تكد تطأ الثـرى قـدمـاهـا

زف الصـبـاحُ إلى الرمـال نداهـا
وسـرى النسيمُ عـشـيـةً فنعـاهـا

٤ - الـوداع

حـان حـرمـانى ونادانى النذيرْ
مـا الذى أعـددْتُ لى قـبل المسير

زمنى ضـاع ومـا أنصـفـتنى
زادىَ الأولُ كـالزاد الأخـيـرْ

رىَّ عـمـرى من أكـاذيب المنى
وطعـامى من عـفـافٍ وضـمـيرْ

وعـلى كـفـك قـلبٌ ودمٌ
وعلى بابك قـيـدٌ وأسـيـرا!

* * *

حانَ حرمـانى فـدعنى يا حـبـيبى
هذه الجنة ليـستْ من نصـيـبى

آه من دارِ نعـيـمٍ كلمـا
جـئـتُها اجتازُ جسـراً من لهيبِ

وأنـا إلفـك فـى ظل الصِّبـا
والشبـاب الغضُّ والعمرِ القشيبِ

أنزلُ الربوةَ ضـيـفـاً عـابراً
ثم أمضى عنك كـالطيرِ الغريبِ

* * *

لِمَ يا هاجـرُ أصبـحتَ رحـيـمـا
والحنانُ الجمُّ والرقةُ فـيـمـا؟!

لمَ تسقينىَ من شهدِ الرضا
وتلاقينى عطوفاً وكريما

كلُّ شئ صار مراً فى فمى
بعدما أصبحتُ بالدنيا عليما

آه من يأخذُ عمرى كلّه
ويعيدُ الطفلَ والجهل القديما!

* * *

هل رأى الحب سكارى مثلنا؟!
كم بنينا من خيالٍ حولنا!

ومشينا فى طريق مقمرٍ
تثبُ الفرحةُ فيه قبلنا!

وتطلعنا إلى أنجمه
فتهاوين وأصبحنَ لنا!

وضحكنا ضحك طفلينِ معاً
وعدونا فسبقنا ظلنا!

* * *

وانتبهنا بعد ما زال الرحيق
وأفقنا. ليتَ أنا لا نفيقْ!

يقظةٌ طاحت بأحلام الكَرى
وتولَى الليلُ، والليلُ صَديقْ

وإذا النُّورُ نَذيرٌ طَالعٌ
وإذا الفجرُ مُطِلٌّ كالحَريقْ

وإذا الدُّنيا كما نعرفُها
وإذا الأحْبَابُ كلٌّ فى طَريقْ

* * *

هاتِ أسعدْنى وَدَعْنى أسْعدُكْ
قَدْ دَنا بعدَ التَّنائى موردُكْ

فأذقنيه فإنى ذاهبٌ
لا غدى يُرجَى ولا يُرجَى غدُكْ

وا بلائى من لياليَّ التى
قربَتْ حَيْنى وراحَتْ تبعدُكْ!

لا تَدَعْنى لليالى فغدا
تجْرَحُ الفُرْقةُ ما تأسو يَدُكْ!

أزف البينُ وقد حانَ الذّهابْ
هذه اللّحظةُ قُدّت مِن عَذابْ

أزف البينُ، وهل كانَ النَّوى
ياحبيبى غير أن أغْلق بابْ؟!

مَضتِ الشمْسُ فأمسيتُ وقد
أغلقت دونىَ أبوابُ السَّحابْ

وتلفتُّ على آثارهَا
أسْألُ اللّيْلَ ! ومَنْ لى بالجَوابْ؟!

* * *

٥ – هبة السماء

رثاء احمد شوقى

راحــو بأرواحٍ ظمـاءْ   يتهافتون على الفناءْ
جفَّت حلوقٌ بعدهم   لم تلقَ دونهمُ رَوَاءْ
وامـاً لكأسٍ كالخُلو   د ومنهلٍ فيه الشفاءْ
كنّا إذا ضجَّ الفـؤا   دُ وضاق بالدنيا وناءْ
نمضى إليه فنستقى   ونَعُبُّ منه كما نشاءْ
فاليومَ إذْ شطَّ المزا   رُ بكم وقد عزَّ اللقاءْ
وبخلتُمْ بُخْلَ الضنينِ   فحسْبُنَا قطَراتُ ماءْ!

* * *

اين الأمين على الإما   رة والحريصُ على اللواءْ؟!
قبسٌ أضاء العالميـ   ـن كما تُضىءُ لهم ذُكاءْ
ثم اختفى خلف الغيو   ب مخلِّفاً ظُلَمَ المساءْ
فكانما هبة السَّما   ءِ قد استردَّتها السَّماءْ!

* * *

جزع الرياضُ لطائرٍ   غنَّى فأبدعَ فى الغناءْ
حتى إذا خلب العقو   لَ وقيل: سِحرٌ لا مراءْ!
ولَّى عن الايك الفخو   ر به إلى عرضِ الفضاءْ
فكأنَّه والسُّحب تطـ   ـويه فيمعن فى الخفاءْ
دنيا من الأمل الجميـ   ـل قد استبدَّ بها العَفاءْ!

ووراءها شفقٌ من الذ   كرى كجرحٍ ذى دِماءْ!
وتُسائل الدنيا التى   ناطت به كلَّ الرَّجاءْ
عن اى سِرٍّ طار عنْ   هذى الرُّبى وعلام جاءْ؟!
قُم يا فقيدَ الشعر وانْـ   ـظُرْ اىَ حفلٍ للرثاءْ!
امَمٌ يُصبِّرُ بعضُها   بعضاً، وهيهات العزاءْ
هذى الجموعُ الباكيا   تُ الساخطاتُ على القضاءْ
قاسمتها أشجانها   ووفيت ما شاءَ الوفاءْ
اوَ لَمْ تجدكَ لسانها الـ   ـشاكى إذا احتدم البلاءْ؟
اوَ لَمْ تكن غِرِّيدَها   ونديمها عند الصفاءْ؟
لِمَ لا توفيك الجميـ   ـلَ وتَستَقلُّ لك الفداءْ؟!

* * *

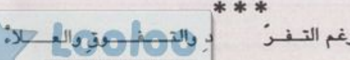
ومُنَعَّمٍ بين القصورِ   قد استَتَمَّ له الثراءْ
ما بالهُ حملَ الهمو   مَ وجشَّم القلبَ العناءْ!
وينوءُ بالعبءِ الذى   هو عن أذاه فى غَناءْ!
ويحَ الذكاءِ وما يكلِّـ   ـفُهُ من الثَّمَنِ الذُكاءْ!
أضنى قواه ولم يدَعْ   من جسمه إلاَّ نماءْ
والمجد يوغل فى حنا   يا، روحه والمجدُ داءْ!

* * *

صرحٌ من الأدبِ الصميـ   ـمِ له على الدنيا البقاءْ
الدهرُ يحمى ركنَه   والفنُّ فى روح البناءْ

* * *

(شوقى)! على رغم التفرُّ   دِ والتفوقِ والعلاءْ



ذاك الرقـــادُ بســاحـــةٍ   كل الرجـــال بهـــا ســواءْ

وبرغم ذهن كـــالفــــرا   شة حـول مـصـباحٍ اضـاءْ

مـــثـواك لا تشكو السكو   نَ ولا تمل من الثـــــواءْ

***

٦ - كبريـــــاء

وحـــبـــيـب كـــان دنيـــا أملى

حـــبـه المحـــرابُ والكعــبــةُ بيـتهْ

من مـــشى يومـــاً على الوردِ له

فطريقى كـان شـوكـا ومـشـيـتهْ

من ســقى يومـــاً بماءٍ ظامـــئـــاً

فـأنا من قـدح العـمـرِ سـقـيـتهْ

خـــفق القلبُ له مـــخـــتلجـــاً

خـفـقـةَ المصـبـاحِ إذ ينضبُ زيتهْ

قـــد ســـلانى فـــتـنكرتُ لهُ

وطوى صـــفـــحـــةَ حـــبى فطويتهْ

٧ - القافلة الصغيرة

تعالَ سلِ القبيلةَ والجمالا

لأيةِ غايةٍ شدوا الرحالا

وكيف تبدلوا أرضاً بأرضٍ

وكيف تغيروا حالا وحالا..

تطلعتِ العيونُ لعل ماءً

يتاحُ على الهواجرِ أو ظلالا

ومدَّ الشيخُ فى الصحراء لحظاً

كلحظ الصقرِ فى الآفاق جالا

كأن بنيه سقما أو هزالا

خيال جر هيكلهُ خيالا

أقافلة الحياة أريتنيها

فلم ترَ مثلها عينى مثالا

أجل هى نحن فى الدنيا حيارى

وما ندرى لقافلةٍ مآلا

رأيتُ حياتنا كم من غريب

على جنبيه بالإعياء مالا

وكم من سائلٍ لم يلقَ ردا

وقد سألَ الهواجرَ والرمالا

فإن تجب القفار عليه يوماً

تردّ له سوافيها السؤالا

***

أقافلة الحياة أريتنيها

خيالا أو ضلالا، أو محالا



٨ - السراب فى السجن

يا سـجـين الحـيـاة أين الفـرارُ

أوصـد الليلُ بابه والنهـارُ

فلمنْ لفتـةٌ وفيم ارتقابٌ

ليس بعـد الذى انتظرت انتظارُ

والتعـلات من هوى وشبـاب

قصـة مسدلٌ عليها الستارُ

ما الذى يبتغى العليلُ المسجّى

قد تولى العوادُ والسمارُ

طال ليلُ الغريب وامتنع الغمـ

ـض وفى المضجع الغضا والنارُ

٩ - فرحة جديدة

ادركت عندك يومى الموعودا

ولقيت فيك مثالىَ المنشودا

وا فرحتى بك فرحة الطفل الذى

يلهو ويخلق كل يوم عيدا

وا فرحتى بك فرحة الطير الذى

ملأ الروابى المصغيات نشيدا

طربتْ لصدحته وصفق ظافراً

جذلانَ فى عرض الفضاءِ سعيدا

فى موكبٍ من قلبِه وحبيبِه

من راح تحسبه العيون وحيدا

وا فرحتى بك فرحة الضال الذى

يطوى القفارَ اللافحاتِ شريداً:

لاحت له بعد الهواجر ايكةٌ

غنّاء تبسط ظلها الممدودا

ما أعجب الدنيا التى بعث الهوى

وأحالها روضاً اغر جديدا

شتى غرائبها وأعجبها فتى

يغدو لبهجته عليك حسودا

يتهالكان على جمالك صبوة
يتنافسان ضراعة وسجودا
يتنازعانك غيرة وتغضبا
كل يراك حبيبه المعبودا

ما اعجب الإيمان يغمر خاطرى
كالفجر قد غمر السماء وبيدا
مزقتِ شكى فاستروحتُ لأعين
علمننى الإيمان والتوحيدا

١٠ - عاصفة روح

اين شط الرجاءْ   يا عُباب الهمومْ
ليلتى انواءْ   ونهارى غيومْ

* * *

اعولى يا جراحْ   اسمعى الديّانْ
لا يهم الرياحْ   زورقٌ غضبانْ

* * *

البلى والثقوبْ   فى صميم الشراعْ
والضنى والشحوبْ   وخيالُ الوَداعْ

* * *

اسخرى يا حياهْ   قهقهى يا رعودْ
الصبا لن أراهْ   والهوى لن يعودْ

* * *

الأمانى غرورْ   فى فم البركانْ
والدجى مخمورْ   والردى سكرانْ

* * *

راحتِ الأيامْ   بابتسام الثغورْ
وتولى الظلامْ   فى عناق الصخورْ

* * *

كان رؤيا منامْ   طيفك المسحورْ
يا ضفاف السلامْ   تحت عرش النورْ

* * *

اطحنى يا سنين   مزقى يا حرابْ
كل برق يبينْ   ومضه كذابْ

***

اسخرى يا حياهْ   قهقهى يا غيوبْ
الصبا لن أراهْ   والهوى لن يؤوبْ

١١ - عاصفة

صورةٌ للبحر أم صورةُ نفسٍ
عندما النفس من اليأس تثورُ

قد علا الموجُ وقد عز التأسى
لم يعدْ إلا عبابٌ وصخورُ

زلزل البحرُ على راكبه
مثلما زلزل قلبٌ ضجرُ

سفر صار على طالبه
ركبٌ ضنك، والمنايا سفرُ..

***

غرَّب الحظُّ كما مال الشراعْ
هكذا الأعمار فى الدنيا تميلْ

وسرتْ فى الجو أشباحُ الوداع
وتنادى كل شىء بالرحيلْ

***

إذا اشتد على القلب البلاء
إذا جار عبابٌ وتناهى

تعصف الأمواجُ عصفاً بالرجاء
كيف ننسى أن للكون إلها...

١٢ - استقبال القمر

أقبلْ بموكبك الأغرّْ ... ما أظمأ الأبصارَ لكْ!
العين بعدك يا قمرْ ... عمياءُ! والدنيا حلَكْ!

* * *

تمضى وراءَ سحابةٍ ... تحنو عليك وتلثمُكَ
وأنا رهينُ كآبةٍ ... بخواطرى أتوهَّمُكْ!

* * *

كن حيث شئتَ فما أنا ... إلاَّ معنًّى بالمحال
أغدو لقدسك بالمنى ... وأزور عرشك بالخيال!

* * *

وأقول صبراً كلّما ... عزَّ الفكاك على الأسيرْ
روحى وروحك ريما ... طابا عناقاً فى الأثيرْ!

* * *

مهما تسامى موضعُكْ ... وعلا مكانُكَ فى الوجودْ
فأنا خيالُك أتبعُكْ ... ظمآن أرشفُ ما تجودْ!

* * *

قمرَ الأمانى يا قمر ... إنى بهمٍّ مسقم
أنت الشفاءُ المدّخرْ ... فاسكب ضياءك فى دمى

* * *

أفرغ خلودكَ فى الشبابْ ... واخلعْ على قلبى الصفاءْ
أسفاً لعمرٍ كالحبابْ ... والكأسُ فائضة شقاءْ

خذنى اليك ونجّنى ... مما أعانى فى الثرى
قدحى ترنّق فاسقنى ... قدح الشعاع مطهّراً!

١٣ - عينــان

طوى السنين وشق الغيبَ والظلما

برقٌ تألق فى عـينيك وابتـسـمـا

ياسارى البرق من نجمين يومضُ لى

مـاذا تخبىء لى الأقدار خلفهما

أجئتَ بى عتبات الخلدِ أم شركا

نصبت لى من خداع الوهم أم حلما؟

كـأننى ناظرٌ بحراً وعـاصفـة

وزورقاً بالغد المجهولِ مرتطما

حملتنى لسماءٍ قد سريت لها

بالروحِ والفكر لم أنقل لها قدما

شفَّت سديماً ورَقَّت فى غلائلها

فكدت أبصر فيها اللوحَ والقلما

رأيت قلبين خط الغيبُ حبهما

وكاتبا ببيان النور قد رسما

وسحر عينيكِ إنى مقسم بهما

لا تسألى القلبَ عن إخلاصه قسما

واهاً لعينيكِ كالنبعِ الجميلِ صفا

وسال مؤتلقُ الأمواجِ منسجما

ما انتما؟ أنتما كأسٌ وإن عذُبت

فيها الحمامُ ولا عذر لمن سلما

لمَّا رمى الحبُّ قلبينا إلى القدرِ

له المشيئةُ لم نسألْ لمن ولما

فى لحظةٍ تجمعُ الآباد حاضرها

وما يجىء وماقد مر منصرما

قد أودعتْ فى فؤاد اثنين كل هوىً

فى الأرضِ سارتْ به أخبارُها قدما

كلاهما ناظرٌ فى عين صاحبهِ

موجا من الحب والأشواقِ ملتطما

وساحة بتعلاّت الهوى احتربت

فيها صراعٌ وفيها للعناق ظما

يا للغديرين فى عينيك إذ لمعا

بالشوق يومضُ خلفَ الماءِ مضطرما

وللنقيضين فى كأسين قد جمعا

فالراويان هما والظامئان هما

بأى قوسٍ وسهم صائب ويدٍ

هواك يا أيها الطاغى الجميل رمى

يرمى البرىء فى آن وأعجبه

أن الذى فى يديه البرءُ ما علما

وكيف يبرئنى من لست أسأله

برءاً وأوثر فيه السهدَ والسقما

لو أن للموت أسبابا تقربنى
إلى رضاك لهان الموتُ مقتحما
إن الليالى التى فى العمر منك خلتْ
مرت يبابا وكانت كلها عقما
تلفتَ القلبُ مكروبا لها حسرا
وعض من أسف ابهامَه ندما

١٤ ـ البحيرة

معربة عن لامارتين

من شاطئٍ لتواطئٍ جددِ
يرمى بنا ليلٌ من الأبدِ
ما مرّ منه مضى فلم يعدِ
هيهات مرسى يومِه لغدِ!

* * *

سنةٌ مضت! وختامُها جانا
والدهرُ فرّق شملَنا أبدا
ناجِ البحيرةَ وحدك الآنا
واجلسْ بهذا الصخرِ منفردا!
قل للبحيرةِ تذكرين وقد
سكن المساءُ ونحن باللججِ
لا صوت يسمع فى الدنى لأحدْ
الا صدى المجداف والموج

* * *



فاذا بصوتٍ غير معتادِ

هزّ السكونَ هتافهُ العذبُ

أصغى العبابُ ورجْعُ الوادى

أصداءَه وتناجتِ السحبْ

* * *

يا دهر فى رفق ولا تدرِ

ساعاته فى هينة وقفى

حتى تتاح هناءةُ العمرِ

وتطول لذتُها لمقتطفِ

* * *

هلا التفتَّ لذلك الكونِ

وعلمت كم فى الناس من باكى

يدعوك خذنى والأسى المضنْى

خلِّ المتّعِ وامضِ بالشاكى

* * *

هذا النعيم وهاته المحنُ

يتنافسان الدهر اقلاعا

فبأى عدلٍ أيها الزمنُ

تتشابهُ الحالان إسراعا

* * *

يا أيها الأبد السحيق أجبْ

وتكلمى يا هوة الماضى

ما تصنعان بأشهرٍ وحقبْ

ونعيم عمرٍ غير معتاض

* * *

ناج البحيرةَ والصخور وعُدْ

فاستحلِف الأغوارَ والغابا

قل! صُنْ ذكر غرامنا فلقدْ

صين الشبابُ عليك أحقابا

ولتبق يا هذى البحيرة فى

حاليك ثائرة وهادئة

فى باسق للماء منعطفِ

فى رائعات الصخر ناتئة

* * *

فى عابر النسمات مرتجفًا

فى النجم فضض صفحةَ الماءِ

فى الريح أنّ انينه وهفا

فى الغصن نفّسَ حسر احشاءِ

* * *

فى الجو معتبقاً برياكِ

خطرت ملاعبة رقيق صبا

فى كل هذا هاتفٌ باكى

سيقول يا اسفا لقد ذهبا!

* * *

١٥ - التذكار

معربة عن «الفرد دى موسيه»

بى نزوعٌ إلى الدموعْ الهوامى

غير انى اخافُ من الامى

ايهذا المكان! يا غالى الترب!

ومثوى عبادتى واحترامى!

انت مثوى الذكرى ومدفنُها الغا

لى القصبىُ المجهولُ فى الأيام

* * *

هذه خلوتى فلا تمنعونى

ما الذى تحذرون يا خلانى

انها عادتى التى كنت أعتا

دُ وأهوى فى سالفِ الأزمانِ

اخذتنى لذِى الرحاب وقادت

قدمى فى سبيلِ هذا المكان!

* * *



أنظروا هذه السفوحَ وهذا النبـ

ـتَ إذ قام مزهراً تيّاها!

لكأنى ما زلتُ تسمع أذنى

فى صموتِ الرمالِ وقع خطاها

وكأن النجوى بكل ممرٍّ

طوقتنى فى ستره يمناها!

***

قد تراءى الصنوبر النضر إذ

أينع فى قاتمٍ من الألوانِ

وتراءى لىَ المضيقُ البعيدُ الـ

ـغور يمتدُّ فى رخىِّ المجانى

موحشات لكنما كن الا

فى ومهد الهنىء من أزمانى

***

أنا ما جئتُ ها هنا أذكر الأشـ

ـجانَ فى موطنٍ عرفت فيه هنائى

ذلك الغاب رائع الحسن والصمـ

ـت مثال الجلال والكبرياء

وفؤادى عاتٍ كرائع هذا الـ

ـغابِ مستكبرٌ على البرحاءِ!

***

من يشأ أن يفيضَ يوماً بشكوا

ه فما هذا موضع الأحزان

قل لشاكٍ هلاَّ مضيت لتجثو

عند مثوى ميت من الخلان!

كل شىء حىٌّ هنا ونباتُ الـ

ـقبرِ ينمو فى غيرِ هذا المكان!

***

طلع البدرُ يرتقى ذروةَ الأفـ

ـقِ ويجتازُ حالكَ الأسدادِ

يا أمير الظلام إنك تبدو

حائرَ الرأىِ واضحَ الترداد

ثم تمضى مجاوزاً حجبَ الليـ

ـلِ وترمى بنورِك الوقَّادِ

* * *

كلّما شارف الثرى فيض نورٍ

مرسلٍ من جبينِك الوضّاحِ

وإذا الأرض قد تضوَّع منها

عن ثراها الندىُّ عطرُ الصباحِ

استثارت عطرَ القديمِ من الحبِّ

دفينَ العبيرِ فى الأرواح

* * *

ايهذا الوادى المحبب ما زر

تك حتى سألت عن أوصابى

أيْن راحت لواعجى أيْن الا

مى اللواتى أهرمننى فى الشباب

عاودتنى طفولتى فيك حتى

خلتُ أنى ما اجتزتُ يومَ عذاب!

* * *

يا خفاف السنين! يا صولة الدهـ

ـر قوياً مثل الجبابرِ عاتى

كل ماضى صبابة قد أخذتن

فمن مدمعٍ ومن حسراتِ

ورحمتنٌ لى ازاهر ذكرى

علقتْ فى نبولها بالحياة

* * *

فسلام منى على الأيام

كيف أستْ فى النازلاتِ الجسامِ

لم أكن أدرى أن جرحاً بما كا

بدتُ منه من فاتك الآلامِ

معقبٌ لذةً لنفسى واحسا

سَ هناءٍ لدىَّ بعد التئام

* * *

فليبْن عسىَ السخيْفُ من الرا

ىِ وتنأى سفاسفُ الأقوالِ

وهمومٌ كوانبٌ كفنت اثْـ

ـوابُها حُبٌ عاشقين ضالِ

جعلوها مظاهراً لهواهم

والهوى الحقُّ ليس منهم ببالِ

* * *

ايه دانتى! اأنت ذاك الذى قا

ل قديماً عن ذكريات الهناء:

انها إن مرّت على ذاكريها

زمن الحزن فهى أشقى الشقاء

اى بؤسى أملت عليك مريرَ الـ

ـقولِ حقاً أسأت للبأساءِ!

* * *

او إنْ اقبل الدجى بعد ادبا

رِ نهارٍ صافى الضياء قضيتَهْ

تنكرُ النورَ فى الوجودِ فيغدو

محضُ وهمٍ كأنه ما رايتَهْ

نلك القول وهو جدّ عجيب

أيها الخالد الأسى كيف قلتَهْ

* * *

قسماً بالطهورِ من لهب الحبِ

مضيئاً فى القلب شبه المنارِ

ما عهِدْنا فى قلبك الوافر الإيمانِ

هذا الضلال فى الأفكارِ

لا ارى للهناءِ والله صدقاً

مثل صدقِ الهناءِ بالتذكارِ

* * *

او إنْ ابصرَ الشقىُّ وميضاً

فى رمادِ الهوى فقام إليهِ

باسطاً نحوه يديه بلهفٍ

حارصاً ان يمرَّ من كفَّيهِ

وبه من إشعاعهِ اثرُ البر

قِ إذا مرَّ خاطفاً ناظريه

* * *

او إن غاصت روحهُ فى عباب الذ

كريات التى طوتها السنينْ!

وعلى مرآةٍ مجرَّحةٍ منـ

ـها جرى دمعُه السخىُّ الهتون!

او هذا السرور من ذِكرِ الما

ضى تسميه بالعذابِ المبين!

* * *

ان تروى ادمعى فلا تزجرونى

ودعونى انى أحب الدموعَا

لا تجفف ايديكمُ ادمعاً تَنْـ

ـفعُ قلباً لمَّا يزلْ موجوعا

ادمعى سترٌ مسبلٌ فوق ماضٍ

قد تولى ما يستطيع رجوعا!

* * *

١٦ - الخريف

يا حبيبى غيمة فى خاطرى

وجفونى وعلى الأفق سحابةْ

غفر اللّهُ ما صنعت

كلما شاكيتها تندى كآبةْ

صرخ القفرُ لها منتحِباً

ويكى مستعطفاً مما اصابةْ

* * *

كثر الهجرُ على القلب فهل

من سلو أو بعاد يرتضيهِ

انت فجرٌ من جمال وصبا

كل فجر طالع ذكَّرنيهِ

كيف جانبتك أبغى سلوةْ

ثم ناجيتك فى كل شبيهِ

أيها الساكن عينى ودمى

اين فى الدنيا مكان لست فيهِ

عندما ازْمعَ ركب العمرِ

رحلةْ نحو المغانى الأخرِ

ظهرت تجلوك كفُّ القدرِ

صورةُ اروع ما فى الصورِ

تتـراءى فى الشـبـاب العطرِ
نفـحـةٌ تحـمل طيبَ السـحـرِ
وقف العـمـرُ لهـا مـعـتـذراً
وثنى الركبُ عنانَ السـفـرِ
عندمـا اقـفـرتِ الدنيـا جـمـيـعـاً
لحت لى تحـمل عـمـراً وربيـعـاً
إن يكن حلمـاً تولى مـسـرعـاً
اجمل الأحلام مـا ولى سـريعـا
إن يكنْ مـا كـان دَيْنا يقـتـضى
خلنى ادفـعـه عنك دمـوعـا
قـد شـربناه عـزيزاً غـاليـاً
إن تكن بعتَ فـإنى لن أبيـعـا

* * *

يا ندامى الحب سُمـار الهـوى
سكبوا لى السهدَ فى ذاك الشراب
ارقـونى أجـرع السـقم وبى
صـفـرة الكأس وأوهام الحـبـاب
كلمـا تقـبـل أيام المنى
تتجلى النعـمـاءُ عن ذاك السراب
وترى أيامىَ الحـيـرى على
عرسـها الضاحك أحزان الضباب

لم أقـيـدك بشىء فى الهـوى
انت من حـبى ومن وجـدى طليقْ
الهـوى الخـالص قـيـد وحـده
رب حـر وهـو فى قـيـد وثيقْ
مـزّقت كـفـيك أشـواك الهـوى
وأنا ضـقـت بأحـجـار الطريقْ
كـم ظـمـى بـظـمـى يـرتـوى
وغـريق مـسـتـعـين بغـريقْ
يا ليالى العـمـر مـا سـر الليالى
البطيـئـات المـلات الطوالِ
مـسـرعـات مـبطئـات ولهـا
خـفـة الموت وأثقـال الجـبـالِ
كـاسـفـات البـال عـرجـاء المنى
عـاثرات الحظ شـوهـاء الظلالِ
عـجـبـاً للعـمـر يمضى مـسـرعـاً
للمنايا بسلحـفـاة الملال

* * *

يا قـمـارى الروض فى أيك الهـوى
جـفّت الروضـةُ من بعـد النديمْ
حل بـالأيك خـريـفٌ منكـرٌ
وظلال قـاتماتٌ وغـيـوم

ماتت الروضةُ إلا طائفاً

من هوى حى على الذكرى يقومْ

فإذا انكر ما حل بها

فر يبغى سريه بين النجومْ

شاهت الدنيا وجوهاً ورؤى

وتولاها سهومٌ ووجومْ

يا عذارى الحسن فى ظل الصبا

كل حسن بعد ليلاى دميمُ

يا نعيم العيش فى ظل الرضا

اه لو اعرف ما طعم النعيمْ

انكر الجنةَ قلبُ ضَجرٌ

ابدى النار موصول الجحيمْ

* * *

طالما موهتُ بالضحك فما

غيَّر التموية رأيا لك فيا

كلما تنظر فى عينى ترى

سرى الغافى ومعناى الخفيا

وترى فى عميق روحى زهرة

قد سقاها الحزنُ دمعاً ابديا

ويراهُ الناسُ طلا وترى

انت دمعاً غائماً فى مقلتيا

يا فؤادى ما ترى هذا الغروبْ

ما ترى فيه انهيار العمرِ؟

ما ترى فيه غريقاً ذا شحوبْ

يتلاشى فى خضم القدرِ؟

ما تراها اتاأدتْ قبل المغيبْ

ورمتْ من عرشها المنحدرِ

لفتةَ الحسرةِ للشط القريبْ

قبل أن تسقط خلف النهرِ....

* * *

يا فؤادى قاتل اللهُ الضجرْ

وعذابى بين حل وسفرْ

ما ترى قنطرةٌ من بعدها

راحة ترجى وبال يستقرْ

ذلك الجرح وما افدحه

ما عليه لو إلى السلوى عبرْ

قد طواه اليوم فى بردته

وأتى الليلُ عليه فانفجرْ

* * *

مرَّ يومى فارغاً منك ومن

املِ اللقيا فما اتعس يومى

انت يومى، وغـــدى انت، ومـــا
من زمـــان مـــرَ بى لم تكُ همى!
آهِ كم اغدو صـغـيـراً، حـاجـتى
لكَ كـــالطفل إلى رحـــمـــةِ امٍّ
ولكم اكـــبـــر بالحب إلى أن
اغـتدى مـسـتـشـرقـاً افـاق نجمٍ

* * *

اى ســرٍّ فـيك إنى لست أدرى
كل مـا فـيك من الأسـرار يغـرى
خطرٌ ينسـابُ من مـفـتـر ثغـر
فـتنة تعـصف من لفـتـة نحرِ
قـدر ينسج من خـصلة شـعـر
زورق يسـبحُ فى مـوجـةِ عطرِ
فى عـبـاب غـامض التـيـار يجرى
واصـلا مـا بين عـينيك وعـمـرى

* * *

ذات ليلِ والدجى يغـمـرنا
اترى تذكـر إذ جـزنا المدينةْ؟
كلـمــا روعت من نـار شجٍ
حر مـا يصلى تلمست جبينهْ

بيدٍ شـفـافـة مـثل الندى الرطـ
ـب تعـيـد النار بردا وسكينه
أيهـا الآسى لـنارى هذه
مـا الذى تصنع بالنار الدفـينة؟

* * *

أخـيـالاً كـان هذا كلُّه
ذلك الجـسـر الذى كنا عليـه؟
والمصـابيح التى فى جـانبـيـه
ذلك النيل ومـا فى شـاطئـيـه؟
وشـعـاع طوفت فى مـائه
وظلالٌ رسـبت فى ضـفـتـيـه
وحـبـيب وادع فى سـاعـدى
ووعـود نلتـهـا من شـفـتـيـه؟

* * *

رب لحن قص فى خـاطرنا
قـصـةَ الحادى الذى غنّى سـهادَهْ
وكـأن الصـمت منه واحـةٌ
هيأتْ من عـشبِها الرطبِ وسادَهْ
ها أنا عـدت إلى حـيث التـقـينا
فى مكان رفرفت فيه السعادَهْ

ويه قد رفرف الصمتُ علينا
إنّ في صمت المحبين عبادهْ

* * *

رفرف الصمتُ ولكن اقبلتْ
من اقاصي السهلِ اصداءٌ بعيدهْ
تتهادى في عباب ساحر
مرسلٍ للشطّ امواجاً مديدهْ
كم نداء خافت مبتعد
تشتهي اذنُ الهوى أن تستعيدهْ
عاد منساباً إلى اعماقها
هامساً فيها باصداءٍ جديدهْ

* * *

رفرف الصمتُ ولكن ها هنا
كل ما فيك من الحسنى يغنى
آه كم من وتر نام على
صدر عودٍ نومَ غاف مطمئنَ
ويه شتى لحون من أسى
وحنينٍ وأنينٍ وتمنى
وقد العاصفُ فيه وانطوتْ
مهجةُ العودِ على صمتِ مرنِ...

هذه الدنيا هجيرٌ كلُّها
اين في الرمضاء ظل من ظلالكْ
ربما تزخر بالحسن وما
في الدمى مهما غلت سر جمالكْ
ربما تزخر بالنور وكم
من ضياء وهو من غيرك حالكْ
لو جرت في خاطري اقصى المنى
لتمنيتُ خيالاً من خيالك

* * *

انا إن ضاقت بي الدنيا أفيءَ
لثوانٍ رحبةٍ قد وسعتنا
إنما الدنيا عبابٌ ضمنا
وشطوطٌ من حظوظٍ فرقتنا
ولقد اطفو عليه قلقاً
غارقاً في لحظة قد جمعتْنا.
كلما تترى المعاني اجتلي
خلف معناها لأسرارك معنى

* * *

ما الذى صبك صباً في الفؤادْ
ما الذى إن اقصه عني عادْ

طاغياً يعصفُ عصفاً بالرشادْ

ظامناً سيان قربٍ ويعادْ

ساهر العينين موصول السهادْ

ما الذى يجرى لهيباً فى الرمادْ

ما الذى يخلقنا من عدم

ما الذى يجرى حياةً فى الجمادْ

* * *

كم حبيب بعدت صهباؤه

وتبقت نفحةٌ من حببهْ

فى نسيجٍ خالدٍ رغم البلى

عبث الدهرُ وما يعبث بهْ

ما الذى فى خصلة من شعره

ما الذى فى خطه او كُتبهْ

ما الذى فى اثرٍ خلّفه

من أفانين الهوى او عجبهْ

* * *

ما الذى فى مجلس يألفه

عقد الحبُّ عليه موعدَهْ

ربما يبكى أسى كرسيُّهُ

إن نأى عنه وتبكى المائدَهْ

ربما نحسبها هشتْ إذا

عائدٌ هش لها أو عائدَهْ

ربما نحسبها تسألنا

حين نمضى أفراق لعدَهْ؟

* * *

كم أعدت لك ستراً فى الخفاء

وتوارت عن عيون الرقباء

كم أعدت نفسها وانتظرت

واستوت موحشة تحت السماء؟

وهى لو تملك كفا صافحت

كفَّك الحلوةَ فى كل مساء

وهى لو تملك جوداً بذلت

كل ما تملك كفٌّ من سخاء

* * *

رب كرم مده الليل لنا

فتواثبنا له نبغى اقتطافهْ

وعلى خيمته أسوده

عربى الجود شرقى الضيافهْ

وجد العرس على بهجته

وسناه دون ورد فأضافهْ

ثم وارت يدَه جنيةٌ

وطوت بأساطير الخرافةْ...

* * *

ارج يعبق فى أنحائه

حملته نحو عرشينا الرياحْ

كل عطر فى ثناياه سرى

كان سراً مضمراً فيه فباحْ

يا لها من حقبة كانت على

قِصَرٍ فيها كأماد فساحْ

نتمنى كلما طابت لنا

ان يظل الليل مجهول الصباحْ

* * *

يا فؤادى العمر سفرٌ وانطوى

وتبقتْ صفحة قبل النوى

ما الذى يغريك بالدنيا سوى

ذلك الوجه، وذياك الهوى

* * *

١٧ - إلى شاعر

فى رثاء طاينوس عبده

موقفٌ حانَ فاغتنمِ   وتخير مِن الكَلِمْ
كلُّ لفظ أرقُّ من   ضحكةِ الزهر للديَمْ
مستمدٍّ من الربُى   مُستعارٍ من النَسَمْ
اجمعِ الآنَ طاقةً   غضّةَ النور تبتسمْ
أهدِها روحَ شاعرٍ   خالدٍ بالذى نَظَمْ

***

قلمى! ما الذى لديـ   ـكَ من الخير يا قلمْ؟!
قمْ فذكِّر وناج قو   مَكَ واخطُبْ وقل لهُمْ:
قل لأهل الغناء فى   كنف المعهد الأشمَ
ذلك الشاعرُ الذى   بات فى خاطر الظُلَمْ
هو منكم وفنُّهُ   علمَ الله فنكمْ
كان لحناً فصار ذكـ   ـراً كما يُذكَرُ الحلُمْ
انما الشعر مزهرٌ   قد حكى قصةَ الأممْ
ويأوتاره المنى   تتلاقى وتزدحمْ
هو نايٌ مُرجّعٌ   لشجىٍ وما كتمْ
هو قيثارةُ الزما   نِ ونجواه منْ قِدَمْ
هو انشودة الحيا   ةِ وفيضٌ من النغمْ

١٨ ـ الفراق

يا ساعة الحسراتِ والعبراتِ

اعَصَفتِ ام عصف الهوى بحياتى؟

ما مهربى ملأ الجحيم مسالكى

وطغى على سُبُلى وسدّ جهاتى

من اى حصنٍ قد نزعت كوامناً

من ادمعى استعصمن خلف ثباتى

حطّمتُ من جبروتهن فقلن لى

ازِفَ الفراقُ فقلت ويحكِ هاتى!

* * *

اموت ظمآناً وثغركِ جدولى

وابيتُ اشربُ لهفتى وولوعى

جفّت على شفتى الحياةُ وحلمها

وخيالها من نلك الينبوع

قد هدّنى جزعى عليك وادّعى

انى غداة البَين غير جَزوع

واريد أشبعُ ناظرىَّ فانثنى

كى استبينك من خلالِ دموعى!

* * *

هان الردى لو ان قلبك دارِ

أالموتُ مغترباً وصدرك دارى؟

يا من رفعتِ بناءَ نفسى شاهقاً

متهلّلَ الجنباتِ بالأنوارِ

اليوم لى روحٌ كظلٍّ شاحبٍ

فى هيكل متخاذلِ الأسوارِ

لو فى الضلوع اجلتِ عينكِ ابصرتْ

مُنهارة تبكى على منهارِ!

* * *

لا تسألى عن ليل امسى وخطبه

وخذى جوابكِ من شقىٍّ واجم

طالت مسافتُه علىّ كأنها

ابدٌ غليظ القلب ليس براحم

وكأننى طفلٌ بها وخواطرى

ارجوحة فى لجّها المتلاطم

عانيتُها والليل لعنةُ كافرٍ

وطويتُها والصبحُ دمعةُ نادم

* * *



١٩ ـ ذكرى شوقى

شَجنٌ على شَجنٍ وحـرقـةُ نارِ
مَنْ مُسعدِى فى ساعةِ التذكارِ

قُمْ يا أميـرُ! افِضْ علىَّ خـواطراً
وابعث خيالَكَ فى النسيم السارى

واطلع كعهدك فى الحياةِ فراشةً
غـراءَ حـائمـةً على الأنوارِ

يا عـاشقَ الحـرية الثكلى أفِقْ
واهتفْ بشعرك فى شباب الدارِ

يا مَنْ دعـا للحق فى أوطانهِ
ومضى ليهتفَ فى ديار الجارِ

الشامُ جازعةٌ ومصرُ كعهدها
نهبُ الخطوب قليلةُ الانصارِ

والحظُّ اطماركما شاءَ البلَى
والعيشُ رثٌّ والسنونُ عوارِ

* * *

عامٌ مضى يا للزمان وطيِّه
فينا ويا لسواخر الأقدارِ!

عامٌ مضى وكانَ أمس نعيُه
يا ما أقلَّ العامَ فى الأعمارِ!

أيْنَ الامارة والأميرُ ودولةٌ
مبسوطةُ السلطان فى الأمصارِ

خمسون عاماً وهى وارفةُ الجنى
تحت الربيع دووية الأثمارِ!

مدَّ الخريفُ على الرياض رواقَهُ
ومضى الربيعُ الضاحكُ النوّارِ!

* * *

هيهات انسى قبلَ بينك ساعةً
جمعتْ صحابَك فى غروب نهار(١)

والشمس فى سقم الغروب وأنتَ فى
لونِ الشحوب معصفرٌ ببهارِ

منحتْ وقد ذهبت شعاعاً غارياً
كسناكَ طوّافاً على السمّارِ

تشكو لىَ الضعفَ الملمَّ لعلَّ فى
طبى مقيلاً من وشيك عثارِ

وكشفتَ عن متهدِّمٍ جال الردى

متهجماً فى صرحه المنهارِ

فرأيت ما صنع الضنى فى صورةٍ

حالتْ، وخلى هيكلاً كإطار

ووجمتَ! المخُ فى الغيوب نهايةٌ

وأرى بعينى غايةَ المضمار

وأرى النبوغ وقد تهاوى نجمُه

والعبقريةَ وهى فى الإدبارِ!

أولم يكن لك من زمانك ذائداً

وثباتُ ذهن ماردٍ جبارِ؟

أولَمْ يكن لكَ من حِمامِك عاصِماً

ذاك الجبينُ مكللاً بالغارِ؟

ولِّيتَ فى إثر الذين رثيتهم

واقمتَ فيهم ماتمَ الاشعار

وسُقيتَ من كاسٍ تطوف بها يدٌ

محتومةُ الاقداح والأدوارِ

والدهرُ يقذف بالمنايا دفّقاً

فمضيتَ فى متدفق التيارِ

فى ذمة الاجيال ما غنّت به

قيثارةُ سحريةُ الاوتارِ

صدحتْ بألحان الحياة ووقّعتْ

انغامَها المحجوبة الأسرارِ

والفنُّ ما حاكى الطبيعةَ اخذاً

منها ومن إعجازها بغرارِ

مسترسلاً رحباً كعينٍ ثرّةٍ

شتى السيول سحيقةِ الأغوارِ

متعالياً حتى الأشعة مشرقاً!

متألقاً كالكوكبِ السيّارِ!

* * *

شوقى! نظمتَ فكنت براً خيِّراً

فى أمة ظمأى الى الأخيارِ!

ارسلتَ شعرَك فى المدائن هادياً

شبهَ المنارِ مجلّلٍ بوقارِ!

تدعو لمجدِ الشرق: تجعل حبّه

نصبَ القلوب وقبلةَ الأنظارِ!

تبكى العراقَ اذا استُبيحَ ولا تضنّ

على الشآم بدمعِه المدرارِ

وترى الرجالَ وقد أمين نمارهم

خرجوا لصَونِ كرامةٍ ونمارِ

فلو استطعتَ مددتَ بين صفوفهم

كفّاً مضرجةً مع الاحرارِ!

* * *

ما زلتَ تُبعثُ فى قريضِكَ ثاوياً

أو ماضياً حَفِلاً بكلِّ فخارِ

حتى اتُّهمتَ فقالَ قومٌ: شاعرٌ

ناجى الطلولَ وطاف بالآثارِ!

فجلوتَ ما لَم يشهدوا، ورسمت ما

لَم يعهدوا من معجز الافكار!

شيخٌ يدبُّ الى الاصيل وقلبُهُ

وجنانُهُ فى نضرة الأسحارِ

ويحسُّ تبريحَ الصبابَةِ واصفاً

مجنونَ ليلىَ فى سحيقِ قفارِ

ويروح يبعث كليوباترا ناشراً

تلك العصور وطيفَها المتوارى!

ويرى الحياةَ الحبَّ والحبُّ الحيا

ةَ!! هما شعارٌ العيش أىُّ شعارِ

٢٠ - فى ظلال الصمت

صمتَ السّهلُ ولكن اقبلتْ

من ثنايا السهل اصداءٌ بعيدهْ

كلُّ لحنٍ فى هدوءٍ شاملٍ

تشتهى النفسُ به أن تستعيدَهْ

يتهادى فى عُبابٍ ساحرٍ

باعثٍ للشطِّ امواجاً مديدهْ

فإذا ما ذهب الليلُ بها

تزخرُ النفسُ بأصداءٍ جديدهْ

* * *

هذا الليلُ هنا لكننى

كنت فى حسنك بالصمت أغنى

كلُّ لحنٍ لجبٍ يغشى دمى

لعب العازف بالعود المُرِنّ

ناقلاً للنَّهر والسهل معاً

قصةً يشرحُها عنك وعنى

قصة الشاعر والحسن إذا اسـ

ـتبقا الخلد فى حومة فنّ

ما الذى فى خصلة راقدة

ما الذى فى خطّه او كتبِهْ؟

ما الذى فى اثرِ خلْفه

من افانين الهوى او عجبه

ما الذى فى مجلس يألفه

عقد الحب عليه موعده

ربما يبكى اسىً كرسيُّه

إن نأى عنه وتبكى المائده

ولقد نحسبها هشّت إذا

عائد هش لها أو عائده

ولقد نحسبها تسألنا

حين نمضى أفراق لعدّه؟

***

كم أعدّت نفسها وانتظرت

واستوت موحشة تحت السماء

وهى لو تملك كفاً صافحت

كفكِ الغضّة فى كل مساء

رُبَّ كرم مدّه الليل لنا

فتواثبنا له نبغى اقتطافهْ

وعلى خيمته حارسه

عربى الجود شرقى الضيافهْ

وجَد العرس على بهجته

وسناه دونَ وَرْدٍ فاضافهْ

ثم وارته غياباتُ الدّجى

كخيالٍ من أساطيرِ الخُرافهْ

***

ارجٌ يعبقُ فى جُنحِ الدّجى

حملته نحو عَرْشينا الرياحْ

كلُّ عطرٍ فى ثناياه سرى

كان سراً مُضمراً. فيه فباحْ

يا لها من حقبة كانت على

قِصَرٍ فيها كآماد فساحْ

نتمنى كلما امتدت بنا

أن يظل الليل مجهول الصباحْ

***

انا إن ضاقت بىَ الدنيا افىءُ

لثوان رحبة قد وسعتنا

إنما الدنيا عُبابٌ ضمّنا
وشطوطٌ من حظوظ فرّقتنا

ولقد أطفو عليه فلِقاً
غارقاً فى لحظةٍ قد جمعتنا

ومعانى الحسن تترى وأنا
ناظرٌ فيها لمعنىً خلف معنى

هذه الدنيا هجيرٌ كلُّها
أين فى الرمضاء ظلٌّ من ظلالكْ

ربما تزخر بالحسن وما
فى الدُمى مهما غلت سحر جمالكْ

ولقد تزخر بالنور وكم
من ضياء وهو من غيرك حالكْ

لو جرت فى خاطرى أقصى المنى
لتمنيت خيالاً من خيالكْ!

***

قلت لليل الذى جلّلنا
والذى كان على السرّ أمينا

أين يا قلبىَ مَنْ قلبى اجتبى
لهواه واصطفاه لى خدينا؟

لم اكن اطمع أن ترحمنى
بعد أن قضّيت فى الوجد السنينا

لم اكن اطمع أن تُضمر لى
آسياً يُبرىءُ لى الجرح الدفينا

لم اكن اعلم يا ليل الأسى
أن فى جنحك لى فجراً جنينا

***

أيها اللائذ بالصمت كفى
وأدِر وجهكَ لى وانظرْ طويلا

لا تملِ واسخرْ من الدنيا إذا
شاءت الأيام يوماً أن تميلا

***

ما الذى مكّن فى القلب الودادْ
ما الذى صبّك صباً فى الفؤادْ؟

ما الذى ملّك عينيك القيادْ
ما الذى يعصف عصفاً بالرشادْ؟

ما الذى إن أقصهِ عنىَ عادْ
طاغياً سيّان قربٌ أو بعادْ؟

ما الذى يخلقنا من عدم

ما الذى يُجرى حياة فى الجمادْ؟

* * *

كم حبيب بَعُدت صهباؤه

وتبقت نفحة من حبَية

فى نسيج خالدٍ رغم البلى

عبث الدَّهرُ وما يعبثْ به

* * *

أين سلطانى ومجدى والذى

حبُّه مجدٌ وسلطانٌ وعزُّه؟

أين إلهامى ونورى والذى

أيقظ القلبَ إلى البَعْثِ وهَزَّه؟

* * *

٢١ - الجمال الضنين

قلْ للبخيل إذا ما عزَّ مشرعهُ:

يا مانع الماء عنى كيف تمنعهُ

هل غرَّ حسنك أن الخلدَ جدولُه

وأنّه من غريبِ السحرِ منبعهُ؟

يا أيها الكوكب المحبوس فى فلك

مبددٌ مجده فيه مضيِّعُه!

هيهات يخلد حسنٌ لا يؤلهه

شعرٌ من النسق الأعلى ويرفعهُ!

أنا شهيدك، والقلب الضحوك إذا

أدميته، والمغنّى إذ تقطّعُه

هل منك يوم رضىً ضمنٌ الزمانُ به

أعيا خيالى وأضنانى توقّعُه؟!

كم بتُّ منتبهاً أصغى لخطوته

أراه فى الوهم أحياناً واسمعهُ!

وأنت فى أفق الاوهام طيف صبا

سما ودق على الأفهام موضعهُ

كـانك النسمُ النشـوانُ منطلقـا
اظل كـالنفس الحيـرانِ أتبعـهْ

تعـالَ وادنُ بيـوم لا نحسُ به
أجسادَنا. فى صفاء، لا نضيعهُ!

لكن أحسك نجرى فى صميم دمى
انت الحيـاةُ، وأنت الكونُ اجـمعهُ!

* * *

٢٢ - قيثارة الألم

إن حـان لحنُ الختـامْ
صـار النشيـدُ دعـاءْ

مـرَّ الهـوى فى سلامْ
فلنفتـرق أصدقـاءْ

سـرٌ وراء الظنونْ
اظلَّني واضـاءَ

لـم أدرِ مـاذا يكونْ
ولم أسلْ كيف جاءْ

* * *

مـا بين ضحكِ الرياحْ
وقهقهات الغيوبْ

ولّى خيـالٌ وراحْ
وحلّ ظلٌ غريبْ

* * *

يا ذنبُ فـــات المتـــابُ
لما تحطَّمَ صـــــرحى
مـــا لى عليـــهـــا عـــتـــابُ
إنى أعـــــاتب جـــرحى

* * *

وهذه قــيـــثـــارتى
ذاتُ الشـــجى والأنيـــنْ
وهـــذه أوتـــارى
أصـــرتِ لا تـطريــنْ؟

* * *

يا كم شـــدوتُ بلحنى
مـــا بين حـــزنى ودمـــعى
مـــا بالـه طـىٌّ أذنى
لكنْ غـــريبـــاً لســمــعى

٢٣ - رباعيات

صيَّرَك الحسن أميرَ الوجودِ   والشـعـر من درِّاته كلَّلكْ
مستلهماً منك معانى الخلود   فكل تاجٍ فى العلى منك لكْ

* * *

فتَناهبَ برقَ الثنايا العـذابْ   وسـارقٌ يا قـوتهُ من فـمك
وكل تغريد الهوى والشبابْ   أغْنيةٌ حامت على مبسمكْ

* * *

وذلك الماس الرفـيع السنا   والجوهر الغالى الذى صدتُهُ
أرفع من فكر الورى مَعْدِنا   وكل فضلى أننى صُغْتُهُ!

* * *

لا فكر لى، عشتُ على فكرتكْ   أقبس ما أقبس من غُرَّتكْ
ودمعتى تقتات من عبرتكْ   فانظر بمرآتى إلى صورتكْ

* * *

شقانى الحبُّ وقلبى سعيدْ   يَعُدُّ هذا الدمع من أنعمكَ
أجزل ما كافأ هذا الشهيدْ   بلوغُه المجد على سلَّمكْ

* * *

لا شىء من يوم النَّوى منقذى   إنى امرؤٌ عنك وشيك المسيرْ
وأنت باقٍ والجمـال الذى   غنى به شعرى ليومى الأخيرْ

* * *

انظر إلى ايات هذه الجمالْ ترتدُّ عنها عاديات البلى

عاجزة الباع ويأبى الزوالْ لوردةٍ من عَدْن ان تذبلا

* * *

للأنفس الظمأى إليك التفاتْ ولهفةٌ ملءَ اللّحاظ الجياعْ

ولى التفاتٌ لسرىِّ الصّفاتْ واللؤلؤ اللمّاح خلف القناعْ

* * *

قلبى مع الناس وفكرى شَرودْ فى عالَمٍ رَحْب بعيد الشّعابْ

عينى على سرٍّ وراء الوجود وبغيتى عرشٌ وراء السحابْ!

* * *

كم طرت بى واجتزت سور الضبابْ والضوء ملءُ القلب ملءُ الرحابْ

وعدت بى للأرض ارض السّرابْ والليلُ جهمٌ كجناح الغرابْ

* * *

اريْتَنى الغيبَ الذى لا يُرى كشفتَ لى ما لا يراه البصرْ

ثم انحدرنا نستشفُّ الثرى علّ وراءَ التُّرب سرُّ السفرْ

* * *

صدرى وسادٌ زاخرٌ بالحنانْ تصوُّرى أعجب ما فى الزمانْ

موج على أُجْنه خافقان قرًا على ارجوحةٍ من امانْ

* * *

كمركب فى البحر يومَ اغترابْ ما ابعد المحنة بعد اقترابْ

هيهات ينْجى من شطوط العذابْ إلاَّ عبابٌ دافقٌ فى عبابْ

* * *

ملأتُ كأسى وانتظرتُ النديم فما لساقى الرُّوحِ لا يُقبل

شوقى جحيمٌ وانتظارى جحيم اقلُّ ما فى لفْحِهِ يقتلُ

* * *

انت كريمُ الودِّ حلْوُ الوفاءْ فما الذى عَاقَكَ هذا المساءْ؟

وما الذى اخّر هذا اللقاءْ وحرَّم النبع وصدَّ الظِماءْ؟

* * *

انمَّ هذا الوقت فى بُطْئِهِ اخره يعثرُ فى بَدْئِهِ

لله ما احمل من عِبْئِهِ وما يُعانى القلب من رُزْئِهِ

* * *

تدقُّ فيه ساعةٌ لا تدورْ وإن تَدُرْ فهو صراعُ اللغوبْ

رنينها يقلق صمُّ الصدورْ وطَرْقُها يقرع بابَ القلوبْ

* * *

يا ذاهباً لم يشْفِ منى الغليل ما اسرع العقربَ عند الرحيلْ

هتفتُ قف لم يبق إلاّ القليلْ وكلُّ حىٍّ سائرٌ فى سبيلْ!

* * *

يومٌ تولّى أو ظلامٌ سجا كلاهما بالقرب منك انتصارْ

الحمد اليوم تلاه الدُّجى أم أحمد الليل تلاه النهارْ؟

* * *

ان نَوَّر النجمُ به مرّةً فإن إشراقَكَ لى مرّتانْ

وكيف يُبقى الشكُّ لى حيرةً ولى على برج المنى نجمتانْ؟

* * *

فهذه تلمع فى خاطرى   ملءُ دمى إشراقُها والبهاءْ
وهذه تُومِىءُ للساهرِ   والليل صافٍ واديم السماءْ

* * *

وهذه تجلو كثيف الغيومْ   وهذه تَذْرَأ عنى الهمومْ
وتمحق الحزنَ ونَاسُو الكلومْ   فما الذى أجْرى دموعَ النجومْ؟

* * *

هيهات انسى دُرّةَ الانجمِ   إلىَّ من آفاقها ترتمى
وفى جريحٍ اعزلٍ تحتمى   من اى هولٍ؟ هى لم تعلمِ!

* * *

إن ضلوعاً تحتمى فى ضلوعْ   مقادرَ ليس بها من رجوعْ
اخلدً اصفاد الجوى والنزوعْ   هوى الحزانى وعناق الدموعْ

* * *

رضيت بالدهر على ما جَنَى   وابْتُ بالحكمة بعد الجنونْ
ومرَّ يومى هادئاً ساكنا   وأىُّ شىءٍ خادع كالسكونْ

* * *

ارنو إلى الصحرا حيث الرمالْ   نامت كأنَّ اللفحَ فيها ظلالْ
يا ليت لى والدهر حالٌ وحالْ   من وقدةِ الإحساسِ بعض الكلالْ

* * *

فاقبل الدنيا على حالها   مسلّماً بالغدر فى آلها
وراضياً عنها باغلالها   محتملاً وطأة اثقالها

* * *

الرُّعْبُ سيّان بها والأمانْ   والحسنُ زادُ سائغٌ للزمانْ
والوهمُ فى حالاتها كالعِيان   والحبُّ والكرهُ بها توامانْ

* * *

وَدِدْتُ لو قلبى كهذى القفارْ   اصمُّ لا يسمع ما فى الديارْ
أعمى عن الليل بها والنهارْ   وددتُ لو قلبى كهذى القفارْ

* * *

وددتُ لو عندىَ جهلُ الثرى   تَعْمُر او تقفر هذى البيوتْ
غفلان لا يعنيه امرٌ جرى   ايُولدَ الحىُّ بها أم يموتْ

* * *

وليلةٍ تمضى وأخرى وما   جئتَ فهل الهاك عنى أحدْ؟
ما ضاء من ليلاتنا اظلما   والسبت خدّاعٌ بها كالأحدْ

* * *

يمتلىءُ السطحُ على ضيقهِ   والوقتُ عندى كانفساح الابدْ
حسدتُهُ والقلبُ فى ضيقهِ   انا الذى لم أدْرِ طعمَ الحسدْ

* * *

وذلك (الجاز) وهذا النغمْ   منتقلاً بين الرضا والألمْ
يحمل لى طيفَ خيالٍ قَدِمِ   تراه عينى فى ثنايا حُلُمْ

* * *

فى واحةٍ يرسو عليها الغريبْ   فكلُّ ما فيها لديه غريبْ
وهكذا الدنيا خداع عجيبْ   إذا خلت أيامُها من حبيبْ

* * *

وهكذا يومٌ ويومٌ سواه ... ينكرها القلبُ الصبُورُ الحمولْ
وهكذا يذهب طيبُ الحياهْ ... بين التمنى واعتذار الرسول

***

هنا مهادُ الحبِّ هل تذكرينْ ... وها هنا بالأمس طاب السمرْ
وتلك احلامُ الهوى والسنينْ ... يحملها التيّارُ فوق النهرْ

***

والقمرُ الفضىُّ بين الغيومْ ... يخفق كالمنديل عند الوداعْ
يا حسرتا! هل صوّرتْه الهمومْ ... كالزورقِ إلاّ شراعْ

***

قد جللته غيمةٌ عابرهْ ... تسحبُ اذيالَ الأسى والندمْ
واغرقته موجةٌ غامرهْ ... فأطبق الصمتُ ورَانَ العدمْ

***

ضممت اضلاعى على نعشهِ ... فلم يزلْ فيها لهاوٍ شعاعْ
لأىّ غورٍ زالَ عن عرشهِ ... وغاص فى اللجّ إلى اىِّ قاعْ

***

ارثى لحظِّ الأفق وهو الذى ... يرمقُنى بالنظرة الساخرهْ
وتهرب الانجم هذى وذى ... ويجثم الليلُ على القاهرهْ

***

ويزحف الكونُ على خاطرى ... كأنه فى مقلة الساهرِ
سَدٌ من الرعبِ بلا آخر ... يعبُّ عَبَّ الأبدِ الزاخرِ

***

وفى ظلالِ الموت موتِ الوجودْ ... وخلفَ اطلال البِلى والهمو
وبين أنفاس الردى والخمودْ ... وتحت سُحْبٍ عابساتٍ وسودْ

***

تدفعنى عاصفةٌ عاتيهْ ... تقصف من خلفى وقُدّاميهْ
قد مزّقت روحى وآماليهْ ... وقرّبتْ لى طرفَ الهاويهْ!

***

تلمع فى الظلمة احداقُها ... قد رحّبَتْ باليأس اعماقُها
شافية النفس وترياقُها ... مشتاقةٌ اقبل مشتاقُها

***

قد كان لى عندك عزُّ الذليلْ ... وكان للآمال ومضٌ ضئيلْ
يلمع فى ظنّى قبل الرحيلْ ... فانطفأ النورُ ومات القليلْ

***

فداك يا جاهلةً ما بيهْ ... قلبى وانفاسى الظمّاء الحِرارْ
وكيف أنسى ليلتى الداميهْ ... ولهفتى آلهثُ خلف القطارْ؟

***

وعودتى أجرع كأسَ الحياه ... مُعاقرًا سُمَّ الفناءِ البطئْ
أُنكِرُ أو افزعُ ممن أراه ... سيان من يذهب أو من يجئْ

***

وليلةٍ فاضت بوسواسها ... تعجبُ من إلْفَين بين البَشَرْ
ذلك يعدو خلف أنفاسها ... وهذه تتبع سير القمرْ

***

تتبعه بين الرُّبى والشِّعابْ   تتبعه يسرى خلال السحابْ
كم هلّلتْ وهو يضىء الرِّحابْ   والتفتَتْ محسورةً حين غابْ

* * *

وذلك الطفل اللهيف الغيورْ   فى فَلَكٍ من ضوء ليلى يدورْ
يقفو خطاها وهى بين الطيورْ   لها جناحان مراحٌ ونورْ

* * *

كزورق يعبرُ بحرَ الوجودْ   له شراعان ولحظٌ شَرُودْ
كم شرقًا أو غربًا فى صعودْ   وارتفعا حتى كأن لن يعودْ

* * *

ليلى ارجعى إنى شقىٌ كئيبْ   أهتف مفقودَ الهُدى والقرارْ
يا هاته الأوطان إنى غريبْ   وعالمى ليس هنا يا ديارْ!

* * *

تركتنى وحدى وخلفتنى   أرزح تحت المبْكيات الثقالْ
أنكرتِ ميثاقى وأنكرتنى   أكلُّ ماضينا وليد الخيالْ؟

* * *

فرغت من أحلامه وانطوى   بِمُرِّهِ وارتحتُ من عذبهِ
الأمرُ ما شئتِ فذنب الهوى   على الذى يكفر يومًا بهِ

* * *

كان إلى الله سبيلى وما   كان إلى الإيمان دَرْبٌ سواهْ
وكان فى جُرح الهوى بلسما   وكان عندى منحة من إلهْ

* * *

مهما تكن نارى فإنَّ الجحيم   أرأفُ بى منَ ظلم هذا البعادْ
وربَّ هَمٍّ مُقْعِدٍ أو مقيمْ   قد لطّفَتْهُ نسماتُ الودادْ

* * *

فخفَتِ النارُ وقرَّ الهشيمْ   وعاودتنى الذِّكَرُ الغابرهْ
والنيلُ يجرى هادئًا والنسيمْ   معربدٌ فى الخُصَلِ الثائرهْ

* * *

كم تهتف الأيامُ: خانت فَخُنْ   ويح حياتى إنْ تَخُنْ أمسها
إن هنتُ هذا عهدُها لم يَهُنْ   ولا لياليها وإن تنسها

* * *

تُهيب بى الفرصةُ قبل الفواتْ   ويعرض الصيدُ فلا أقنصُ
إنى امرؤ زادى على الذكرياتْ   وما غلا عندىَ لا يرخصُ

* * *

ومطلبٍ فى العمر ولّى وفاتْ   وكان همّى أنه لا يفوتْ
كان فجرًا ضاحكًا فىّ ماتْ   وملءُ نفسى مغربٌ لا يموتْ

* * *

فى السأم الحىِّ الذى لا يَبيدْ   والأملِ الطاغى بأن ترجعى
أجدّدُ العيشَ وما من جديدْ   وأدّعى السلوان ما أدّعى!

* * *

كم خاننى الحظُّ ولا أنثنى   أقضى زمانى كلّهُ فى لعلْ
وتقسم المرآة لى أننى   رَقَعْتُ بالآمال ثوبَ الأجلْ

* * *

قد فاتنى الصيفُ وخان الربيعْ … وكان همّى كلّه فى الخريفْ
وما شكاتى حين شملى جميعْ … وانت لى أيكٌ وظلٌ وريفْ

* * *

والآن قد مزّق عندى القناعْ … موتُ الاباطيل وزحف الشتاءْ
وبدّد الوهمَ وفضّ الخداعْ … بَرْدُ المنايا وشحوبُ الفناءْ

* * *

واسِفَ القلبُ لكنزى الذى … غَصّتْ به أفئدة الحُسّدِ
صحوت من وهمى ولا كنز لى … قد صُفِرَتْ منها ومنه يدى

* * *

اين زمانٌ مكتسٍ يومُهُ … بالحبُ مُوْشى بحُلْم الغدِ؟
من هاته الايام محرومةٌ … عريانةُ الآمال والموعدِ

* * *

قد قتل الدهرُ هنائى كما … ماتت بثغرى ضحكات السعيدْ!
وربما رقّ زمانٌ قسا … فانعطف الجافى ولان الحديدْ

* * *

محقق الآمال أو واعدٌ … بفرحة يوم لقاء وعيدْ
فإن يَعِدْنى ثار شكّى به … كانما وعد الليالى وعيدْ!

* * *

واسفا هذا سجلُ كُتِبْ … خطّتْهُ كفُ القدرِ المحتجِبْ
ففيم عوْدى لقديم الحِقَبْ … وفيم تَسْآلى عمّا ذهبْ؟

* * *

ضاقت بنا مصرُ وضقنا بها … وكلُّ سهلٍ فوقها اليوم ضاقْ
وضاقت الدنيا على رحبها … اين ندامای وأين الرفاقْ؟

* * *

كفُ تلُمّ العمرَ والعُمرُ راحْ … وقبضةٌ تجمع شملَ الرياحْ
لا حَبَبٌ باقٍ ولا ظل راح … ليلٌ تولّى وتولّى صباحْ

* * *

هذا نهارٌ مات يا للنّهارْ … كل مساءٍ مصرعٌ وانهيارْ
مال جدارُ النورِ بعد انحدارْ … وغابتِ الشمسُ وراءَ الجدارْ

* * *

وذا مساءٌ صبغتْهُ الهمومْ … بلونها القانى وهذى غيومْ
تحوم والظلمةُ فيها تحومْ … تبسط مهداً ليّنًا للنجومْ

* * *

كأن ثوبًا فى السماء احترقْ … فلم يزل حتى استحال الافقْ
ظلُّ دخانٍ او بقايا رمقْ … ولمَ يعُد إلاّ ذيولُ الشفقْ

* * *

وتزحف الظلماءُ زحفَ المُغيرْ … حاجبةٌ ما دونها كالسُتارْ
وكل حىٍّ وادعٌ او قريرْ … ما اختلف الشأن ولا الحظّ دارْ

* * *

العيشُ أمرٌ تافهٌ والمنونْ … والحكمةُ الكبرى بها كالجنونْ
وهكذا نمضى وتمضى السنونْ … وهكذا دارتْ رحاها الطحونْ

* * *

فى شَجَنِهَا حـينًا وفى طَعْنِهـا سينقضى العمرُ وأين الفرار؟
وثورةُ الشـاكـين من طحنِهـا نوحُ الشظايا وعتابُ الغُبارْ؟

* * *

رقم الإيداع ٥٩١١ / ٩٦
I. S. B. N 977-01-4832-6



